مجلة "منبر التراث الأثري"
ISSN: 2335-1500, EISSN: 2602-7267
المجلد:02؛ العـــدد:01؛ (2013)
ص 09-30

المساجد المؤرخة بالكتابات التأسيسية بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

أ/ بوزرينة سعيد
المركز الجامعي - البيض

سجلت مدينة الجزائر حضورها في التاريخ الحضاري للإنسانية، ويتجلى ذلك في حضارتها وثقافتها عمرانا، وعمارة وفنا، أتت عوامل الزمن على الكثير منها، وبقى ما هو قائم إلى اليوم شاهدا على تفاعل الإنسان الجزائري عبر العصور مع محيطه وبيئته خاصة الفترة العثمانية.

ولقد استفادت المدينة من هذا التّنوع في الكم الهائل من المنشآت الدينية باعتبارها العاصمة أثناء الحكم العثماني الذي دام أكثر من ثلاثة قرون، حيث لبست المدينة حلة معمارية جديدة تتمثل في المباني الدينية التي كانت تحظى باهتمام الحكام وكبار التجار والطبقة الغنية فخصصوا أموالا طائلة لإنشائها.

حيث اعتنى سكان المدينة ببناء المساجد ، وهذا نابع من كون المحورية في بناء التجمعات السكنية في العهد الإسلامي تدور كلها حول هذه المنشآت الدينية والاجتماعية التي تهدف إلى غرس القيم والأخلاق في نفوس السكان وهي أبرز صفات الحضارة العربية الإسلامية التي تهدف إلى الخير .

إنّ الجوامع والمساجد خلال العهد العثماني أخذت تسميات متعددة،منها:

- التوزيع الحرفي لعب دورا في تسمية المساجد حيث أخذ الكثير منها أسماء الحرفيين الذين يرتادونها وذلك مثل مساجد الخياطين والشماعين والحلفاويين والكبابطية والشواش.
- أمّا العدد الأكبر من المساجد والأضرحة فقد أخذت أسماء أشخاص يغلب الظن عليهم أنهم فقهاء وأئمة ورجال صالحون ونساء صالحات أو المؤسسون لها مثل مساجد سيدي عبد الله و السيدة وعبد الرحيم والمرابطة وبن علي وعلي بتشين وعبدي باشا والقائد صفر وميزومورطو وغيرهم وضريح عبد الرحمان الثعالبي.
- ويأتي في الدرجة الثالثة تسميات للمساجد بحسب موقعها المتميز في المدينة كأن تكون بقرب عين ماء مشهورة أو عند منحدر حاد أو عند سور المدينة أو بقرب بوابة من بوابات المدينة، ومن أمثلة ذلك نجد مساجد قاع السور والباراني، الحمّامات وباب الدزيرة والرّحبة

القديمة والعين الحمراء وكتشاوة وعين العطش والباب الجديد والقصبة وباب السوق.... إلخ .

من أجل ذلك، أردنا إبراز المساجد الموجودة بمدينة الجزائر في الفترة العثمانية من خلال الكتابات التذكارية المؤرخة، فتعتبر الكتابات الأثرية من أهم مصادر التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية باعتبارها وثائق أصيلة محايدة ومعاصرة للأحداث وغير قابلة للتزييف، يمكن أن يعتمد عليها المؤرخ والباحث في تأريخ الأحداث . وهي على نوعين:

كتابات شاهدية وتتعلق بشواهد القبور، وكتابات تذكارية وتأسيسية، تخلّد ذكر الأثر أو البناء أو تجديد بنيانه أو ترميمه.

- **مجموعة الكتابات التأسيسية المؤرخة للمساجد:**

تتوزع هذه المجموعة من الكتابات تاريخيا عبر فترة زمنية تمتد على مدى ثلاثة قرون تبدأ من بداية القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي إلى نهاية الربع الأول من القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي، مغطية كل فترة العهد العثماني، بداية من حكم خير الدين إلى حسين باشا آخر دايات الجزائر.

أمّا فيما يخص الجانب اللّغوي، فكل الكتابات التذكارية الخاصة بالمنشآت الدينية نقشت باللّغة العربية، رغم أنّ اللّغة العثمانية كانت اللّغة الرّسمية في العهد العثماني، بينما الخطوط التي نقشت فيها هذه الكتابات، فهي متنوعة، منها الخط الحسن المجوّد ومنها المتوسط ومنها الخط الردئ الذي لا يستند على القواعد الأساسية للخط العربي، أمّا أنواع الخطوط المستعملة فنجد الخط النسخي وخط الثلث. وفيما يخص الأساليب، فقد أعطتنا مختلف الكتابات نوعين من الأساليب التقنية والفنية، يتمثل النّوع الأول في النّقش الغائر المحشو بالرّصاص، بينما النّوع الثاني فيتمثل في الحفر البارز. ومن حيث المواد المستعملة في هذه المجموعة، لا نجد سوى نوع واحد وهو مادة الرّخام.

أمّا جغرافيا، فتحدد لنا مجموعة هذه الكتابات أحياء مدينة الجزائر وأزقتها، المندثرة أوالتي ما زالت قائمة، مع إلقاء الضوء على بعض الشخصيات الدينية والسياسية المرموقة التي كانت تحظى بأهمية كبيرة في المدينة، والصيغ التي احتوتها كتابات المنشآت الدينية تتمثل في نوعية الدعاء والآيات القرآنية المختارة، بالإضافة إلى القصائد الشعرية ونظم موزونة القافية.

1. المساجد والجوامع :

1.1. الجامع صفر: (صورة1)

صورة1/ جامع صفر.

- **الموقع:**

يعتبر الجامع صفر من المساجد العتيقة في مدينة الجزائر في العهد العثماني، يقع بحي الجبل[2] عند زاوية شارع الإخوة بشارة (كليبر سابقا) وشارع روان عبد الحميد (سابقا مونتابور) كان الجامع في الفترة الأولى من تشييده يقع خارج مدينة الجزائر القديمة أي أنّ المكان الذي بني به الجامع لم تكن به مساكن عديدة. والحي الذي بني فيه كان تقريبا خالي حيث كانت المدينة ما تزال صغيرة تنتهي من جهتها العليا عند Rue de la Lyre شارع بوزرينة حاليا ولم يدمج جامع صفر في المدينة العتيقة إلا بعد أن اتسعت هذه الأخيرة وامتدت حتى باب الجديد وأصبح السور الجنوبي للمدينة يمر من هذا الحي[3]

- **التسمية:**

سمي بجامع صفر نسبة إلى صفر بن عبد الله، اسمه متداول باسم سافير، واحتفظ المسجد بهذا الاسم حتى اليوم وهو تحريف لاسم صفر.

- **تاريخ الجامع:**

وذكر كلاين klein أنّ المسجد أعيد بناؤه من طرف حسين باشا سنة 1242 هـ / 1826م على نمط الجامع كتشاوة [4]. وفي وثيقة شرعية قديمة تعود إلى سنة 942 هـ / 1534م حررها القاضي الحنفي آنذاك، يذكر أنّ الباشا خير الدين وقّف على المسجد المذكور عشر زويجات (ثيران، والتي تعادل بتربيعها عشرة هكتارات) من الأرض التي تقع بناحية سيدي يخلف بقرب سطاوالي غربي مدينة الجزائر يصرف دخلها على جامع القائد صفر بن عبد الله، و أوصى بأنّ هذا العقار (المزرعة) لا يجري عليه أية ضريبة وذلك بتاريخ منتصف ربيع الأول من

سنة942هـ / سبتمبر 1934م، وفي عقد آخر وقّف الباشا المذكور أرض طاحونة تقع في منطقة وادي الزويق بمقاطعة الجزائر، و التي بني عليها مبان القائد يحي بن عياد الجيجلي النّجار الذي حرره مولاه الباشا المذكور كذلك[5].

لقد أرّخ هذا الجامع بلوحتين كتابيتين تذكاريتين، الكتابة الأولى تحمل تاريخ تأسيس هذا المبنى (941هـ / 1534 – 1535م)، وذكر اسم خير الدين وصفر ، والكتابة الثانية تحمل تاريخ التجديد 1242 هـ / 1826 – 1827 م وذكر اسم حسين باشا.

- **الكتابة التأسيسية الأولى: (صورة2)**
  - **النص:**

س1: **بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم**
س2: **الحمد لله الذي رفع السماء وبسط الارض وفضل بقاعها بعضا**
س3: **على بعض وجعل أفضلها بقاعا تودي فيها النقل والفرض والصلاة والسلام على**
س4: **محمد الشفيع في يوم العرض وسلم تسليما وبعد فهذا مسجد عظيم ومقام كريم أسس.**
س5:**على التقوى وارتسمت على السعادة والتوفيق أرجاؤه وأركانه أمر ببنائه الفقير إلى مولاه.**
س6: **ملوك مولانا السلطان الكبير المعظم الشهير المجاهد في سبيل رب العالمين مولانا خير الدين أيده**
س7: **الله ونصره وهو عبد الله سبحانه صفر غفر الله ذنبه وكان ابتداؤه في شهر رجب الفرد من العام الفارط عن.**
س8: **عام تاريخه والفراغ منه ثاني شهر ربيع الأول عام أحد وأربعين وتسعمائة جعل الله ذلك خالصا إلى وجهه الكريم.**

شرع في بناء جامع صفر في رجب بين 16 جانفي و14 فيفري 1534 وأتّم بناؤه سنة 941هـ الموافق ل15سبتمبر 1534م .

صورة 2 / **الكتابة التأسيسية الأولى لجامع صفر.**

- **الكتابة التأسيسية الثانية:** (الصورة 3).
- **النص:**

س1: **بسم الله وأول الذكر الحمد لله ونصلي على محمد امتثالا للأمر بالصلاة**
س2: **وبعد فان مما يسره الله وأولاه تجديد هذا المسجد للذكر والصلاة**
س3: **وكان ذلك من خيرات أسعد الولاه المخلص في مصالح العباد لوجه الله**
س5: **فكان التاريخ لما جدده وعلاه موسوعا باسمه ووصفه الذي أعلاه**
س6: **وهو جدد الرسوم بحمد الله حسين باشا المجاهد في سبيل الله سنة 1242**

صورة 3/ **الكتابة التأسيسية الثانية لجامع صفر.**

1. 2. الكتابة التأسيسية للجامع الجديد:

صورة 4/ **الجامع الجديد.**

2. الموقع: (الصورة 4)

يقع الجامع الجديد أو الجامع الحواتين وكما تسامية العامة جامع البطحاء في ساحة الشهداء أمّا البقعة التي أنجز فوقها الجامع الجديد فكانت مقرا لزاوية مولاي بوعنان التي تضمنت « المدرسة البوعنانية «، قبل سنة البناء، كان محيطها أرقى الأحياء على الإطلاق بمدينة

الجزائر، أين يوجد حي القيسارية بزاويته الشهيرة وكانت هذه « الحومة » أيضا مركزا لعدد من الحرف الفاخرة مثل الصياغة والنساجة، كما كان محيط زاوية مولاي بوعنان حيّا تكثر فيه المقاهي الشعبية الممتدة حتي حي البحرية[6].

3. التسمية:

إنّ تسميته بالجامع الجديد هي عبارة عن صفة له بالنسبة للجامع الأعظم، لأن مدينة الجزائر كان لها قبل تسميته الجامع الجديد مساجد أخرى حنفية بناها الأتراك[7].

شيّد هذا المسجد خلال القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي، وبالضبط في سنة 1070هـ / 1660م.

تاريخ بناء الجامع، هي الفترة التي كانت فيها مدينة الجزائر تحت حكم الأغوات الذين لم يحتفظوا مبدئيا بزمام تسيير الأمور إلا مدة شهرين، في عهد رمضان باشا.

أمّا الحاج حبيب الذي ذكر اسمه في الكتابة، فقد كان مدير الأشغال والقيم على الجامع، و الذي وصف أيضا في كتابة أخرى غير مؤرخة بصفة المجاهد في سبيل الله أي أنّه قاتل الكفار سواء في صفوف الجيش أو بممارسته القرصنة[8].

- **النّص:**

الحمد لله وحده من يتعرف بسبب طلوع المسجد وكيله الحاج حبيب وتمامه سنة 1070.
(الصورة5)

صورة 5/ **الجامع الجديد - الشريط الكتابي المثبت فوق المحراب**

يتربع الجامع الجديد على مساحة تقدر ب 1372م^2 ، وقد نسجت حوله أسطورة غريبة، مفادها أنّ من وضع تخطيطه كان من الأسرى النصارى[9] .

وكان بناء الجامع بطلب جنود الأتراك الذين شاركوا في عملية البناء، وعلى نفقة جمعية سبل الخيرات التابعة للمذهب الحنفي[10] .

1. 3. الكتابة التأسيسية لجامع كتشاوة:

صورة 6/ **جامع كتشاوة**

- **الموقع:** (الصورة 6)

يعتبر مسجد كتشاوة من أشهر المساجد بمدينة الجزائر ،كان موقعه في العهد الروماني عبارة عن أحواض لجمع مياه الشرب المتدفقة في السواقي من القصبة العليا لتموين سكان المدينة التي كانت تنحصر في حي البحرية وما حوله والتي كانت تسمى آنذاك بإيكوزيوم، أمّا في العهد العثماني فالجامع يقع في القصبة السفلى في شارع الديوان، ساحة ابن باديس حاليا[11].

- **التسمية:**

سمي بجامع كتشاوة، فهذه الكلمة في تفسيرها قولان، الأول حسب قاموس تركي- فرنسي تعني فراش يوضع فوق ظهر الجمل لتنقل النساء أو الجرحى. أمّا التفسير الثاني، فحسب « دوفو « ذكر أنّه عندما جاء الأتراك إلى المدينة وقت بربروس خير الدين كان هذا المكان مهجورا منذ قرون ولم تكن تظهر فيه سوى آثار وأدغال تزورها المعز، فأطلق عليه الأتراك تسمية Ketchi Oua كجي أوى La plaine des chèvres أي سهل المعز أوهضبة المعز[12].

صنف الجامع من طرف السلطات الفرنسية يوم 26 مارس 1908م ونشر في الجريدة الرسمية يوم 23 جانفي 1988م.

- **تاريخ الجامع:**

أ جمع المؤرخون أنّ المسجد بني في القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي ولا توجد أي معلومات عن اسم المؤسس، إلاّ أنّ «دوفو» ذكر أنّ أقدم الوثائق التي ذكرت وأشارت إلى المسجد تعود إلى سنة 1021هـ / 1613-1612م، في عهد مصطفى كوسا الثالث الذي حكم سنة 1021-1019هـ/1613-1611م ، وأنّ المسجد كان مذكورا آنذاك، ولكن لم يذكر معلومات عنه، وشيّد مكانه مسجدا أنيقا من طرف حسن باشا سنة 1209هـ / 1795-1794م على نمط مسجد السيدة الذي كان يقابل قصر الجنينة في ساحة الحكومة (ساحة الشهداء حاليا)[13] حسب الكتابة السابقة.

كما ترجم الأستاذ « دوفو « عقدا أبرم في المحكمة الحنفية يحمل بالإضافة إلى توقيع القاضي الحنفي، كلا من خاتم حسن باشا ومصطفى باشا، وينص العقد أنّ حسن باشا بنى الجامع في الموقع المسمّى كجاوة بالقرب من الوالي داده ، ثمّ وقّف عدة مبان داخل مدينة الجزائر على الخطيب والمؤذن والحزابين والفراشين والشعالين والفقهاء بهذا المسجد، فأمّا باقي المداخل فتصرف على القنـاديل .

هذه اللّوحة سلّمت إلى المتحف الوطني للآثار القديمة يوم 19 جويلية 1855م . (صورة 7) .

النص:

س1:

حبذا جامع يرام بالمنا من مبلغ القصد وتبسم بروق الختام من أفق العهد
بناه سلطاننا الرضي عظيم القدر حسين باشا بالبهاء عديم المثل والند

س2:

قد أفتى لتشييد أساسها على التقى ثقل فخاره من مال تجل عن العد
وحاز بهجة لدى الناظرين أرخ لما كملت كالسعد وباليمن والمجد سنة 1209

صورة 7/ **الكتابة التأسيسية لجامع كتشاوة المحفوظة في المتحف الوطني للآثار القديمة**

- **تمسيح الجامع وتغيير شكله:**

يبدو أن جنود فرنسا المحتلين لم تكن لهم كنيسة يتعبدون فيها، فقد كان عدد المسيحيين الذين وجدهم المحتل بالجزائر ضئيلا، ليس لهم إلا معبد صغير في باب عزون (نهج سيبون سابقا) بورسعيد اليوم، ومعبد القنصلية الفرنسية (نهج جان بار) و معبد القنصلية الفرنسية، و قد رأى القائد العام للجيش الفرنسي و هو «الكونت دي بورمون» أن الصليب لا بد أن يأخذ نصيبه الأوفر من الانتصار العسكري، فأمر أن يرفع الصليب على أعلى بناية مشرفة فكانت هذه البناية جامع القصبة البراني فسمي «كنيسة الصليب القديس» (Eglise Sainte Croix). (مخطط 1).

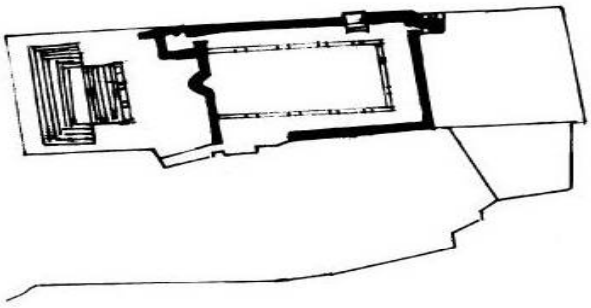

مخطط مبسط 1 / **جامع كتشاوة - بعد تحويله إلى كاتدرائية -عن: دوفو**

وبعد تعيين "كولان" رئيسا للرهبان، اتسعت حركتهم و عظم نطاق نشاطهم، فكان تاريخ 24ديسمبر من سنة 1832 هو اليوم الذي اختاره القسيس "كولان" لتمسيح جامع كتشاوة و جعله كاتدرائية تحت اسم "سان فيليب" "Sainte Philipe» فحوّلوا المنبر إلى قداس ووضعوا فيه تمثال مريم[14].

وقد تداول أساقفة كبار على عرش السلطة الروحية في بلادنا، كان أولهم «كولان» رئيس المرشدين العسكريين، حكم من سنة 1830 – 1833م، و جاء بعده القس «موليز» من سنة

1833 - 1838م عينته روما و شدت أزره، ثم عين البابا جرجير السادس عشر أول أسقف بالجزائر وهو «دويوش» من سنة 1838 – 1846م. و بقيت السلطات الفرنسية من سنة 1832 إلى سنة 1839م أي مدة سبع سنوات تتوجس خوفا من غضب أهل البلاد و لم تتجرأ على وضع صليبها ورفعه على رأس الجامع إلا عندما اطمأنت على مصيرها و استتبت لها جميع الأمور على كل المقاليد، و بعدها احتفلوا في الكاتدرائية بعيد القديس فليب لابن ملك فرنسا لذلك

العهد «لويس فليب» الذي أصدر أمرا ملكيا يقضي بتعيين القس «يلتان» رئيسا للقسيسين في الجزائر[15].

ثم شرعت جماهير المسيحيين تتردد على الكنيسة أفواجا و أن عدد السكان الأوربيين قد ازداد على مر الأعوام، فضاقت بهم ردهة كتشاوة بما رحبت فطلب الأسقف «دويوش» من الحكومة أن تضيف له جامعا آخر من جوامع المسلمين من بينها جامع الجديد و لكن الله سلم فبقي الجامع الجديد للإسلام و اكتفى «دويوش» بهدم الجامع كتشاوة ليشيد على أنقاضه كنيسة أوسع مساحة تناسب المقام والتاريخ[16].

بدأت أعمال تجديد البناء سنة 1260هـ / 1844م وامتدت إلى سنة 1285هـ / 1868م وظل الأسقف طوال هذه المدة المديدة يرعد و يرغي إلى أن تم له ما أراد، فجاء البنيان الجديد خليطا من الفن الروماني و البيزنطي و الإسلامي، فلم يبقوه جامعا على أصله و لم يبنوا كنيسة على ذوقهم، و لم يبق من أصل الجامع إلا الشيء القليل كالمنبر والأعمدة الرخامية، أما المآذن التي رفعوها فقد قلدوا بها شكل جامع قايت باي و جامع الناصر في قلعة القاهرة[17]. (الصورة 8).

هذه هي الفترة المسيحية من عمر جامع كتشاوة المديد وهي فترة طويلة تزخر بالعبر، فقد ظل من سنة 1832م إلى سنة 1862م بيتا من بيوت الله لا يذكر فيه اسمه و لا يجلجل من مئذنته صوت الآذان إلا ما كان من إقامة القداس و الطقوس و الأجراس، وكان المسلم إذا مر أمام جامعه يخيّل له أنه مدجن من مدجني إسبانيا الكاثوليكية، يتمثل بشعر أبي البقاء الرندي[18]. **(صورة 9).**

حيث المساجد قد صارت كنائس ما
فيهنّ إلاّ نواقيس و صلبان
حتى المحاريب تبكي و هي جامدة
حتى المنابر ترثي وهي عيدان.

صورة 8 / **جامع كتشاوة - منظر خارجي بعد تحويله إلى كاتدرائية -عن: فويال – بتصرف -**

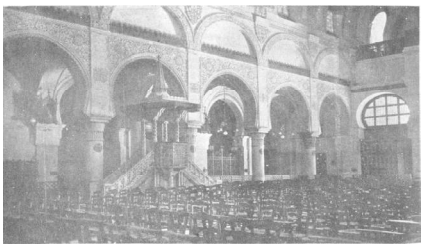

صورة 9 / **جامع كتشاوة - منظر داخلي بعد تحويله إلى كاتدرائية -عن: إيسكار.**

1. 4. الكتابة التأسيسية لجامع البراني:

صورة 10 / **مسجد البراني – القصبة الداخلي.**

- **الموقع: (صورة 10)**

تظهر مدينة الجزائر من جهة البحر على شكل مثلث، وعلى ارتفاع يقدر ب 118 م من مستوى سطح البحر للقصبة العليا يقع مسجد البراني الذي يواجه القصبة مباشرة من جهة المدخل.

يمتد مسجد البرّاني طوليا من الغرب إلى الشرق، يحده من الجهة الغربية و الجنوبية ثكنة عسكرية يفصل بينهما شارع محمد طالب، أماّ من الجهة الشرقية فيحده شارع النصر.

- **التسمية:**

إنّ تسميته بجامع البراني، فهو مصطلح أطلقه الفرنسيون للتفريق بين جامع القصبة الداخلي ومسجد القصبة الخارجي البراني، أي خارج حصن القصبة أو القلعة .وغالبا ما نجد المجموعات البرانية هي التي تصلي في هذا الجامع،لأنّها لا تستطيع الدخول وتصلي داخل

مسجد القلعة لظروف أمنية، من هذه المجموعات نجد البسلكرة والجيجليون والأغواطيون والميزابيون والقبائل وغيرهم[19]

النص:

س1: **صاحب الخيرات و الحسنات السيد حسين باشا رفعه الله أعلى الدرجات**

س2 : **المتمسك بقول من له اللواء و الشفاعة من بنى للّه مسجدا بنى الله له في الجنة بيتا**

س3: **سنة ثلاث و ثلاثين و مائتين و ألف من بعد الهجرة من له الفخر و الشرف**

سنة 1233

أمّا محتوى المجموعة فكتابتها كالآتي:

الصبر سلامة أبشر يا فتى أن الفرج قد أتى. (صورة 11)

صورة 11 / **الكتابة التأسيسية الأولى لجامع البراني المحفوظة في المتحف الوطني للآثار القديمة**

- **تاريخ الجامع:**

صنف المسجد من طرف السلطات الفرنسية يوم 30 مارس 1887 م، ونشر في الجريدة الرسمية يوم 23 جانفي 1968 م.

جدّد حسين باشا آخر دايات الجزائر الجامع ووسعه (حسب اللّوحة الكتابية المذكورة) سنة 1233 هـ / 1817 - 1818 م، يشير الأستاذ دوفو Devoulx أنّ في سنة 1064 هـ/1653 – 1654 م كانت للجامع أوقاف حسب الوثائق الشرعية المحرّرة، حيث تشير الوقفية إلى أنه جامع صغير يقع في مواجهة باب القصبة الجديدة[20].

إذ جعله جديرا باستقبال الموظفين السامين الذين ارتحلوا معه إلى القصبة بعد نقل الإدارة إليها من قصر الجنينة[21] ، أمّا الأستاذ هنري كلاين Klein فيذكر أنّ هذا المسجد كان مخصصا للجيش[22] .

أحتل الجامع من طرف السلطات العسكرية الفرنسية سنة 1830 م وجعلته مرقدا للجنود، وفي 03 أفريل سنة 1839 أعطاه سلاح الهندسة العسكرية إلى أملاك الدولة التي سلمته في نفس اليوم إلى إدارة الشؤون الداخلية (المدنية)، فقامت هذه الأخيرة بمنحه إلى الديانة الكاثولكية[23]، ومن ذلك الوقت أصبح يحمل اسم كنيسة الصليب المقدس Sainte Croix (الصورة 12 و13) .

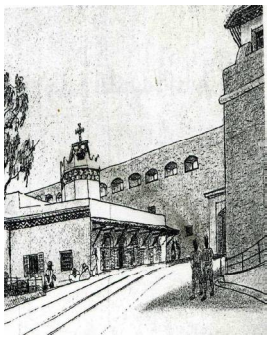

صورة 12 / **جامع البراني - منظر خارجي للجامع بعد تحويله إلى كاتدرائية -عن: فويال**

الصورة 13 / **جامع البراني - عند تحويله إلى كاتدرائية -عن: إيسكار**

1. 5. جامع الداي:

الصورة 14 / **مسجد الداي – القصبة الخارجي**

- **الموقع:** (الصورة 14)

نجد موقع هذا المسجد الجميل والمميز ضمن الوحدات المعمارية لقلعة الجزائر، يحد المسجد من الشرق مسجد الجيش والمطابخ من الشمال و قصر الآغا وحمام الداي من الغرب، ونادي الجيش وحمام الجيش من الجنوب.

- **التسمية:**

يسمى بجامع القصبة الداخلي للتفريق بين مسجد القصبة الخارجي (جامع البراني)، ويعرف أيضا بجامع الداي نسبة إلى مؤسسه حسين باشا آخر دايات الجزائر.

- **الكتابة التأسيسية:** (صورة 15).

- **النّص:**

س1: جميل بحمد الجليل قد احتوى بناء الجامع الشريف بما حوى
س2: أميرنا صاحب العز حسين باشا جزاه الله بمصدق لكل امرئ ما نوى
س3: حبذا خير موافق بعز شأنه إنّ هذا المسجد أسس على التقوى
سنة 1234.

جاءت هذه الكتابة على شكل قصيدة شعرية، تشيد بالجامع وكذا الشكر وحسن الجزاء للمشيّد حسين باشا، وقد ذكر فضل باني المسجد في الدنيا حيث يكون له بيت في الجنة وهذا حديث شريف صحيح، واقتران الخير الذي قام به هو موافق بعز شأنه (المؤسس)، مع ذكر تاريخ التأسيس بالأرقام لا بالحروف.

ما يميز هذه الكتابة أنّها جمعت بين كلمة « جامع » في السطر الأول في الإطار الأيسر وكلمة « مسجد » في السطر الثالث الإطار الأيسر.

وحسب هذا النّص فقد بني هذا الجامع في سنة 1234 هـ / 1819م، من طرف حسين باشا.

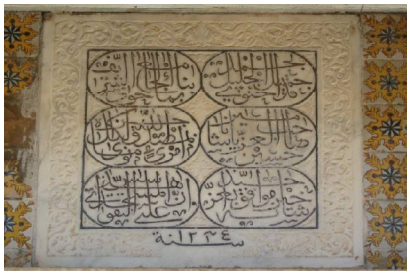

صورة 15 / **الكتابة التأسيسية لجامع الداي.**

- **مخططات مساجد مدينة الجزائر خلال العهد العثماني:**

ومن خلال فحص مخططات المساجد الجزائرية في العصر العثماني ونظامها المعماري، أردنا أن ندرج مساجد مدينة الجزائر ضمن طرازين رئيسيين، الطراز المحلي والطراز الوافد، اللّذين سارا جنبا إلى جنب طيلة هذه الفترة، فنجد مساحة قائمة على الأعمدة، ومساحة ذات القبة المركزية والملاحظ لهاذين الطرازين، هو اختلافهما عن المميزات الأصلية لكل طراز، فلا المساجد القائمة على الأعمدة استمرت في نفس الأسلوب المغربي ، ولا المساجد ذات القبة المركزية معظمها لا تشبه تلك التي بتركيا:

- **الطراز المحلي:**

هو استمرار للطراز المغربي التقليدي، حيث تقوم بيت الصلاة فيه على الأعمدة والدعامات سواء يشتمل على صحن أو يخلو منه، ويغطى بسقف مسطح، ومعظم هذا النوع من المساجد متوسط أو صغير الحجم، منتظم التخطيط أو غير منتظم، نجده خاصة بمساجد الأحياء والمساجد غير الرّسمية، من حيث مظهرها فهي قليلة الزخرفة أو تخلو منه نهائيا، ونموذجها في مدينة الجزائر جامع البرّاني، نجد بعض المساجد الأخرى ذات الطراز المحلي سواء بمدينة الجزائر أو شرق البلاد كمسجد سيدي عبد الله ومسجد سيدي امحمد شريف ومسجد الجيش، ومسجدي سوق الغزال وسيدي لخضر بقسنطينة.

بالإضافة إلى بعض الخصائص المشتركة التي تجمع أوصاف المساجد السابقة، منها اختفاء المجنبات ومؤخرة المسجد، فهي في غاية البساطة من الداخل أو من الخارج، لكن رغم صغرها فإنّنا نحس بداخلها بنوع من الرّحابة والاتساع ووضوح الرؤية، رغم الإضاءة القليلة جدا الناتجة عن قلة النوافذ وارتفاعها عن مستوى سطح الأرض[24]. (مخطط 2).

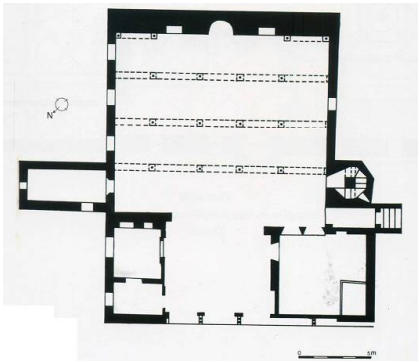

مخطط 2 / **جامع البرانـي-عن: دوكالي.**

صفة الرّحابة والاتساع ولدتها قلة الأعمدة ورشاقتها، وابتعادها عن بعضها البعض يجعل الشخص الواقف بداخلها يرى كل أبعاد البيت دون حائل لذلك.

- **الطراز الوافد:**

كان للحكم العثماني لمدينة الجزائر تأثير مباشر على الحركة والإنتاج المعماري، وما طراز المساجد ذات القبة المركزية إلاّ دليل على هذا التأثير الذي لم يعرف المغرب الأوسط طرازا مماثلا له من قبل، ولقد أنجز هذا الطراز من المساجد جنبا إلى جنب مع المساجد ذات بيوت الصلاة القائمة على الأعمدة.

هذا الطراز في حد ذاته تعددت أنماطه المعمارية وتنوعت أشكاله التخطيطية، ومن أبرز عناصره القبة المركزية.

وقد درس الأستاذ رشيد دوكالي المساجد ذات القبة المركزية وقسمها إلى ثلاثة أنواع:

- قاعة الصلاة مربعة، مغطاة بقبة مركزية قائمة على حنايا ركنية مثل الجامع صفر بن عبد الله. (مخطط 3).

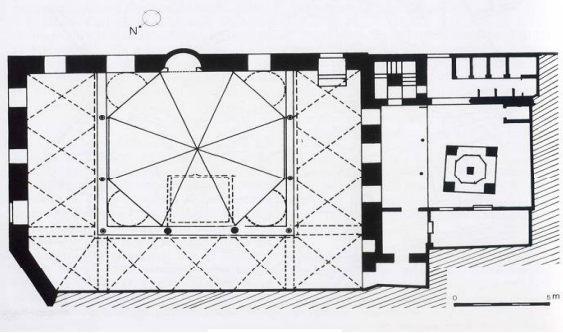

مخطط 3 / **جامع صفر-عن: دوكالي**

- قاعة الصلاة مربعة، مغطاة بقبة مركزية، محاطة بأروقة من جميع جهاتها مغطاة بقبيبات صغيرة منها جامع كتشاوة وجامع القصبة الداخلي (جامع الداي داخل القلعة)، كما نجد نفس النّوع من القبة المركزية في كل من جامع علي بتشين بمدينة الجزائر، وجامع الباشا بوهران وجامع عين البيضاء بمعسكر، وجامع صالح باي بعنابة. (مخطط 4و5).

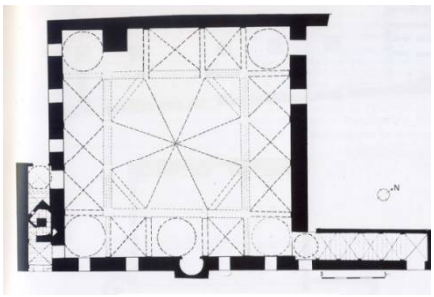

مخطط 4 / **جامع الداي-عن: دوكالي**

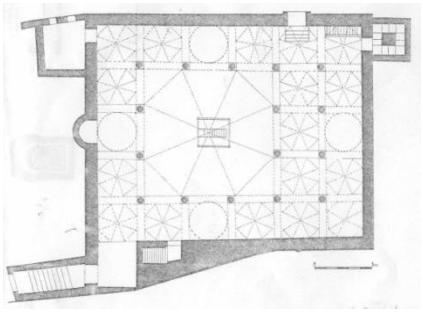

مخطط 5 / **جامع كتشاوة الأصلي-عن: دوكالي**

- بينما التخطيط الثالث، نجد قاعة الصلاة بتصميم مجنح، أي أنّ النصف الأمامي لبيت الصلاة غطته قبة مركزية شبه مخروطية، وعلى محور القبة جناحان، بينما استكمل البيت بمجنبتين مرتكزتين على الدعامات المتعامدة، مع مستوى القبة المركزية، ووزعت على الجناحين والمجنبتين قباب متوسطة الحجم ومتنوعة الشكل، بين مخروطية ومضلعة بشكل مستطيل، وطبق هذا النّظام المعماري على مسجد الجامع الجديد بالعاصمة، الذي أراد صاحبه تقليد التصميم المعروف لدى النّظام المعماري المسيحي القديم[26]. (مخطط 6).

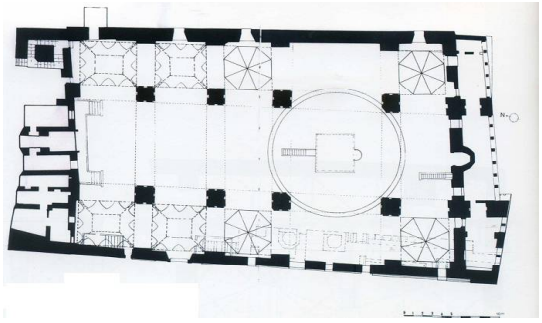

مخطط 6 / **الجامع الجديد-عن: دوكالي**

ولكن من خلال دراسة هذه المخططات وما ذكره « دوكالي « لاحظنا أنّها مشتركة في خاصية واحدة وهي القبة المركزية، وانطلاقا من هذا العمل أدرجناه ضمن طراز واحد ولكن بنمطين، فالنّمط الأول يتمثل في المساجد ذات القباب المركزية المحاطة بأروقة تغطيها قبيبات وأقبية، أمّا النمط الثاني فهو الفريد من نوعه في الجزائر كلها ويتمثل في الجامع الجديد[27].

وأنّ أول مسجد بني على طراز القبة المركزية في الجزائر يعود للفترة العثمانية وهو مسجد علي بتشين الذي بني سنة 1030هـ / 1622م وبناءا على ذلك يتبين لنا أنّ مسجد صفر في مرحلته الأولى والتي تمتد مابين سنتي 941هـ - 1243هـ / 1534 – 1827م كان مبنيا على الطراز المغربي التقليدي ، أي أنّ بيت الصلاة كانت متكونة من بلاطات عمودية على جدار القبلة وأساكيب موازية لها، وهو المخطط الأصلي الذي يعود إلى الفترة التي بني خلالها المسجد من طرف صفر بن عبد الله بأمر من خير الدين باشا، وبالنسبة للمخطط الحالي فقد وصفه العديد من الباحثين، على الصورة التي هو عليه الآن والذي يعود لسنة تجديده من طرف حسين باشا والمظهر الخارجي لهذه المساجد يعكس شكلها الداخلي، الذي أصبح يتميز بالاتساع نظرا للتخلص من الأعمدة والدعامات واستعمالها بعدد قليل، ممّا يجعل الفرد يدرك كل أبعاد بيت الصلاة[28].

هذا الاتساع الأفقي أصبح مصحوبا باتّساع عمودي حققته وسيلة التسقيف الجديدة المعتمدة على القبة، إذ يصل ارتفاع الجامع الجديد مثلا إلى 24م ، هذا النوع من الاتساع نجده أيضا في مسجد الداي (القصبة الداخلي) الذي استعمل فيه حل معماري آخر يتمثل في الأعمدة الرّشيقة والمرتفعة جدا.

ورغم أنّ مساجد مدينة الجزائر قد استلهمت طرازها هذا من مساجد تركيا إلاّ أنّها لم تكن بنفس الرّوعة والأناقة وكبر المساحة، فهذه المساجد صغيرة الحجم تعتمد على مربع مركزي يحمل أربع دعامات أو أعمدة وتحيط به أروقة، ولقد كان بالإمكان تغطية كامل بيت الصلاة بقبة واحدة، وهذا راجع لدراية الفنان بفنون العمارة[29]، وبالتالي استطاع المعمار أن يجد الحل الملائم لهذا الوضع وهو اللّجوء إلى الأساكيب الموازية لأسكوب المحراب والموجودة خلف مربع القبة المركزية ممّا يدل على الرّغبة في توسيع المبنى ليسع أكبر عدد من المصلين، كجامع الجديد وجامع كتشاوة الأصلي[30].

والملاحظ من مخططات المساجد المدروسة أنّ العديد من الأجزاء قد فقدت مكانتها المعطاة لها سابقا، بحيث كانت البلاطة الوسطى وأسكوب المحراب أكثر اتساعا من البلاطات والأساكيب

الأخرى نظرا للقدسية التي كانا يتمتعان بهما والناتجة عن أهمية الجلوس ضمن الصفوف الأولى من بيت الصلاة.

إنّ كلا من الطراز المحلي القائم على الأعمدة و القبة المركزية، ما هو إلاّ مزيج ولّد نموذجا جديدا من المساجد بمدينة الجزائر.

غير أنّ هذه المساجد المشيدة في المدينة وباقي المدن الأخرى خلال هذه الفترة، ترجع إلى رغبة الحكام الذين كانوا على مذهب غير المذهب المالكي، وأرادوا أن ينقلوا إرثهم المعماري طبقا لما هو عليه في الشرق الأدنى، حتى يعيشوا نكهة مذهبهم، وعمق تراثهم، فكان لهم ذلك.

ويتبيّن أيضا أنّ أصحاب الكفاءات الهندسية من الذين أثابهم الله حظا موفورا من المواهب الفنية والذوق الجميل، وجدوا في عمارة المساجد المناخ الذي يتنفس في وجود تطلعاتهم الجمالية وطموحاتهم الإبداعية، فراحوا يضعون أنفسهم بتصرف الراغبين في بناء هذه المساجد، ولم يدّخروا جهدا في أن يأتي المسجد من بين أيديهم، آية للناظرين من حيث روعة تصميمه وجدة زخرفته وكمال زينته وتمام بهائه ومحاسنه، بإيعاز من الحكام والأعيان من أجل أن يأتي المسجد الذي سيحمل اسمهم ، بمثابة شهادة تشيد بذكراهم على مدى تعاقب الأيام واختلاف العهود وترك البصمات التي تدل عليهم في سجل الخالدين ونظائرهم في العالمين.

- **مصير هذه المساجد والجوامع بعد الفترة العثمانية :**

حمل الاستعمار الفرنسي أحقادا دفينة تبيّنت إثر ما وطئت أقدام الفرنسيين أرض مدينة الجزائر وعاثوا فيها فسادا وغيّروا مورفولوجيتها وطمسوا ملامحها المعمارية الإسلامية التي كانت تميّزها .

تمثلت هذه الأحقاد في مشاريع عمرانية حضارية جديدة في مفهومهم، لكنّها انتقامية في مفهوم سكان مدينة الجزائر، فقاموا بعملية السطو والتهديم، وذلك بإقامة مشروع يسمى الأقورا أو الفوروم الرّومانية من أجل إحياء التراث القديم.

أمّا المؤسسات الدينية فتعرضّت لمحاربة شديدة طيلة الفترة الاستعمارية بمختلف الأساليب والأشكال لأنّها كانت تمثل عائقا صلبا وشديدا ضد السيطرة الاستعمارية وسياسة الفرنسية والتنصير والتجهيل. فهدّم الكثير من المساجد وحوّل الباقي إلى كنائس وثكنات وإسطبلات ومستوصفات ومراكز إدارية، وأغلق البعض منها.

كما حورب الأئمة و الشيوخ ووضع حدا لنشاطهم الديني والثقافي وفرضت عليهم وعلى

أتباعهم مراقبة شديدة ودائمة ونفي الكثير منهم وشرّدوا إلى مناطق نائية داخل البلد وخارجه وأرغم البعض على الجوسسة لصالح المستعمر.

كما صادرت الإدارة الاستعمارية كل أملاك الوقف والحبس الإسلامية التي تموّل هذه المؤسسات خاصة الأراضي الزراعية والمتاجر، وحرّمت تدريس أبواب الجهاد من الفقه الإسلامي ومنعت تدريس تاريخ الجزائر حتى منعت السبورة والطباشير ليبقى التعليم تقليديا ومتخلفا.

فنظرا للدور الذي لعبه المسجد في حفظ الشخصية الوطنية وفي ترسيخ الأخلاق الدينية وفي مقاومة الاحتلال الفرنسي منذ أن وطئت أقدام الجيش الاستعماري أرض الوطن، فقد كان من ضمن الإستراتيجية العسكرية لقوات الاحتلال تهديم العشرات من بيوت العبادة[31]، فهدم مسجد الجيش سنة 1830 بعد أن حوّل إلى مخزن، وشوّه الوجه المشرق لمسجد البحري (جامع الكبير) وحوّل بعدها مسجد الداي إلى مستشفى عسكري وحوّلت مساجد أخرى مثل مسجد علي بتشين ومسجد كتشاوة والجامع البراني إلى كنائس، وهدم مسجد السيدة الذي كان من بين أجمل المساجد.

وقد سأل أوميرا نفسه سنة 1315هـ / 1898م قائلا: « ماذا بقي من مسجدا التي كانت بالعاصمة ؟ ثمّ أجاب : إنّ ثلاثة منها قد حوّلت إلى كنائس كاثوليكية، وبعضها حوّل عن غرضه وأعطي إلى المصالح العامة، عسكرية ومدنية، ثمّ إنّ معظم المساجد حدث لها ما حدث للزوايا والأضرحة.فقد هدّمت لفتح الطرق والساحات أو توسيعها أو بناء مؤسسات عمومية كبيرة كالمستشفيات و المدارس والمسارح والكنائس[32] .

وكانت ثانوية الأمير عبد القادر ولتي كانت تسمّى بثانوية « بوجو»، وحديقة مارنقوا (براق حاليا) قد ابتلعتا عدد كبيرا من المباني الدينية من مساجد وأضرحة ، كما ابتلعتا جبانة بباب الوادي الشهيرة.

وفي سنة 1332هـ / 1913م كتب جورج ايفر، المتخصص في تاريخ الاستعمار وأستاذ بجامعة الجزائر، عن المساجد التي عانت من الاحتلال بناء على الوثائق المعاصرة، أنّ بعض المساجد حوّلت إلى كنائس كاثوليكية، وأنّ بين خمسة وستة مساجد أصبحت مخازن، وان من بين 80(ثمانين) مسجدا وزاوية التي كانت بالعاصمة سنة 1830هدم منها ستة وستون بين 1830 – 1832 فقط[33].

يمكن تلخيص ذلك، بتمثيل بياني يمثل الكمّ الهائل من المساجد والجوامع التي كانت

قبل 1830 أي قبل الاحتلال الفرنسـي، ثمّ الفترة التي قدم فيها المستدمر وهي فترة سياسـة التخريب والتدمير وإعادة بناء المدينة على الطريقة الأوربية حتى فترة الاستقلال بعد 1962 م.(منحنى 1).

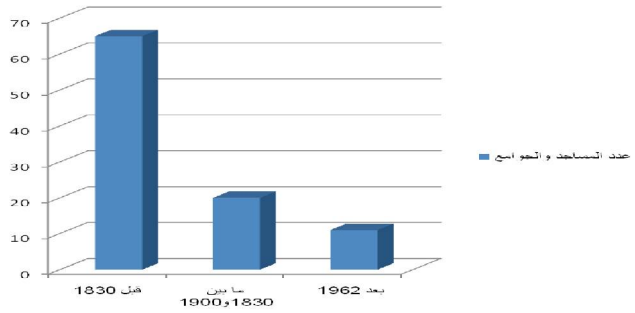

منحنى 1 / **أعمدة بيانية تمثل عدد المساجد والجوامع في فترات مختلفة.**

<u>هوامش البحث:</u>

1 مصطفى بن حموش، مساجد مدينة الجزائر وزواياها وأضرحتها في العهد العثماني، ط1، شركة دار الأمة، الجزائر، ص20،21.

2 عبد القادر نورالدين ، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر، الجزائر، 2007، ص158.

3 Klein(H.), Les feuillets Del - Djazair, Paris,1937,p.89.

4 Klein (H.),Op.Cit,p.89

5 مصطفى بن حموش ، المرجع السابق، ص135.

6 klein (H.), Op.Cit,p.153.

7 عبد القادر نور الدين، المرجع السابق، ص115.

8 Devoulx (A Devoulx (A.),Les édifices religieux de l'ancien Alger, Alger,S.D, p.136.

9 Waille (V.), « Autour des mosquées d'Alger », IN Revue Africaine, Alger, 1899, p.09.

10 هي مجرد منظمة، على شكل هيئة وإدارة ، لها النظر على مساجد المذهب الحنفي والأملاك المحبسة عليها والإعانات والإسعافات التي كانت تعطى للمعوزين المنتسبين لهذا المذهب، وكانت جميع النفقات « المصاريف « من كيس هذه الإدارة التي أنشئت في أواسط الحادي عشر والسابع عشر الميلادي وبقيت إلى حوالي سنة 1841م، حيث تم الاستيلاء عليها من طرف السلطات الاستعمارية، للمزيد من المعلومات، انظر: عبد القادر نور الدين ، المرجع السابق، ص161.

11 فوزي سعد الله، قصبة الجزائر، الذاكرة الحاضر و الخواطر، الجزائر،2007. ص40.

12 Devoulx (A.), « Les édifices religieux de l'ancien Alger », IN Revue Africaine, Alger, 1885, p.19.

13 Devoulx (A.),Les édifices religieu ……,p.164.

14 الطاهر بوشوشي ، صفحات من تاريخ كتشاوة، مجلة الأصالة، العدد 14، الجزائر، 1973، ص292.

15 طاهر بوشوشي، المرجع السابق، ص294.

16 طاهر بوشوشي، المرجع السايق، ص295.

17 Aumerat(A.), Op.Cit, p.185-186.

18 ينتسب أبو البقاء الرّندي إلى قبيلة نغزة، و هي من قبائل البربر، و ينتمي إلى مدينة رندة، و هي مدينة قديمة، حيث تعتبر من إحدى معاقل الأندلس الممتنعة.

ولد في محرم سنة 601هـ/1204م، و توفي سنة 684هـ/ 1285م، كان أديبا و فقيها، و امتدت اهتماماته لتشمل معظم جوانب الثقافة الأدبية و الدينية لعصره، كانت للرندي رحلات و أسفار إلى أنحاء الأندلس، و أكثر رحلاته كان إلى الحاضرة «غرناطة». و من أهم مؤلفاته: - الوافي في نظم القوافي، - روضة الأندلس و نزهة النفس، ديوان الشعر، للمزيد من المعلومات انظر: - محمد رضوان الداية، أبو البقاء الرندي، ط2، بيروت، 1986، ص146.

19 ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، الجزائر، 1984، ص99.

20 Devoulx (A.),Les édifices religieux de l'ancien Alger, Alger,S.D P.233.1

21 Devoulx (A.), Epigraphie indigène du musée archéologique d'Alger,Alger, 1978, p.100 - 101.

22 Klein(H.), Op.Cit, p.34.

23 Aumerat (M.), « La propriété urbaine à Alger » IN Revue Africaine, Alger, 1898, p.186.

24 أبو القاسم سعد الله سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5،ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص220.

25 Dokali (R.), Les mosquée de la période Turque à Alger, SNED , Alger, 1974,p.37.

26 Dokali (R.), Op.Cit,p.38.

27 Devoulx (A.), Les édifices religieux de l'ancien Alger, IN Revue Africaine, Alger, 1870, p.186.

28 Berque (A.), L'Algérie terre d'art et d'histoire, éd, Socité historique, Alger, 1937, p.226.

29 Op.Cit,p.38 .Dokali

30 1 سعاد فويال ، المساجد الأثرية في مدينة الجزائر، دار معرفة، الجزائر، 2006، ص28.

31 Aumerat (M.), « La propriété urbaine à Alger » IN Revue Africaine, Alger, 1898.

32 Yver (G.), « Mémoire de si Hamdan », IN Revue Africaine, Alger, 1913, p.134.